الإسقاط في الأدب العربي القديم

الدكتور أحمد لزعر
باحث في الأدب العربي والفكر الإسلامي
جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب ظهر المهراز، فاس
إطار بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط
المملكة المغربية

ظهر مصطلح الإسقاط (Projection) مع بداية ظهور التحليل النفسي على يد السويسري سيجموند فرويد وقد عرفه بأنه "**حيلة دفاعية من الحيل النفسية اللاشعورية، وعملية هجوم يحمي الفرد بها نفسه بإلصاق عيوبه ونقائصه ورغباته المحرمة أو المستهجنة بالآخرين**"[1]، وبتعبير أدق فالإسقاط النّفسيّ حيلة دفاعيّة يسقط من خلالها الشّخص سماته الذّاتيّ وأفكاره وعواطفه وميوله على عناصر أخرى في بيئته[2]، وذهب حامد زهران إلى أنّ الإسقاط النّفسيّ اعتراف لا شعوريّ عن النّفس بطريقة غير مباشرة[3]، وبما أن الأدب هو ابن البيئة ونتاجها، وبما أن الأديب المبدع شاعرا كان أم روائيا أم غيرهما هو نتاج لهذه البيئة أيضا ومعبر عنها وناقل تفاصيلها إما وصفا أو تصويرا أو نقدا، فإننا لا نتصور ألا تقع كل هاته العناصر طبيعية كانت أم حيوانية تحت تأثيره النفسي، لأن الأدب في نهاية المطاف ما هو إلا تعبير عما يختلج في النفس من رغبات وعواطف وأفكار، وقد تنبه القدماء إلى أثر العناصر الطبيعية والنفسية في الإبداع الأدبي وأنها أحد الأسباب التي تهيج القريحة وتفتح أبواب القول "**قيل لكثيّر: يا أبا صخر كيف تصنع إذا عسر عليك قول الشعر؟ قال: أطوف في الرّبا ع المخلية والرياض المعشبة، فيسهل علي أرصنه، ويسرع إلي أحسنه، ويقال أيضا إنّه لم يستدع شارد الشعر بمثل الماء الجاري، والشرف العالي، والمكان الخضر الخالي، وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سهيّة: هل تقول الآن شعرا؟ فقال: (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب، وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه**"[4] ونحن لا نريد أن نطيل الحديث في هذا الموضوع فقد قتل درسا وبحثا قديما وحديثا، ولكن ما يهمنا هو التنبيه إلى تلك الحالات والنماذج التي كان يسقط فيها الشاعر أو الأديب حالته على عناصر الطبيعة وغيرها أو يسقطها عليه لأسباب نفسية أو اجتماعية أو سياسية... فيلبس عباءة الحياد ويتوارى خلف ستار الرمز ليتركنا أمام صورة مشوشة لما أراد التعبير عنه. وسنحاول تلمس هذه الحالات والنماذج عبر سبعة أنواع أساسية:

01- **الإسقاط التفريغي:** هو أكثر أنواع الإسقاط شيوعًا ويلبي بوضوح تعريف آلية الدفاع، وفي هذا النوع من الإسقاط، قد ينسب المتكلم المشاعر أو الدوافع أو المواقف التي يجدها غير مقبولة في نفسه أو في المجتمع إلى شيء آخر، ويستعير لسان غيره ليصف حاله هو أو ما يشعر به وذلك لسبب من الأسباب، كما أنه من أكثر العناصر بروزا في الشعر العربي القديم، حيث يسقط الشاعر حالته ومشاعره النفسية غير المقبولة مجتمعيا على كائنات أخرى هروبا من نظرة الناس إليه، إذ شكل المجتمع القبلي حياة الشعراء ووسمها بميسم من العادات والتقاليد والأعراف ظلت راسخة في وجدانه أمدا طويلا من الدهر، ومن هذه الأعراف التي كانت شبه مقدسة في العصر الجاهلي مثلا كثرة الترحال والتنقل وعدم الركون إلى الراحة، حيث كان العرب يعتبرون الجلوس والراحة نوعا من الكسل المذموم، وكانوا يعيرون القاعدين بقصور الهمة وانعدام الطموح، ولا أدل على ذلك من استعداء الزبرقان بن بدر عمرا رضي الله عنه على الحطيئة الذي هجاه بقوله:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر: أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً؟ قال: لا، والله لولا الإسلام لأنكرتني"[5] وفي أنساب الأشراف يقول الزبرقان مجيبا عمر: "**أو ما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس**"[6] ويظهر من قول الزبرقان "**والله لولا الإسلام لأنكرتني**" قوة تأثير الدين الجديد على التقليل من وطأة أعراف وتقاليد الجاهلية، كما يظهر من احتجاجه وتألمه من هذا القول مدى سطوة هاته الأعراف التي ظلت متحكمة في النفس العربية والمجتمع العربي[7] ولو بشكل خفي غير معلن إلى عهد طويل بعد ظهور الإسلام، ولا أدل على ذلك من عينية قطري بن الفجاءة أحد زعماء الخوارج وفرسانهم التي عدها الكثير من النقاد القدماء من عيون الشعر الحاث على الإقدام وطلب معالي الأمور ومنها قوله:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي

وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عد من سقط المتاع

ويقول ابن خلكان تعليقا على هذا الشعر: "**وهذه الأبيات مذكورة في الحماسة في الباب الأول، وهي تشجع أجبن خلق الله، وما أعرف في هذا الباب مثلها، وما صدرت إلا عن نفس أبية وشهامة عربية**"[8] وإن هاته النفس الأبية والشهامة العربية هي التي كانت سببا في تهرب المثقب العبدي –وهو أحد الشعراء الجاهليين المعدودين– من إظهار التبرم والسخط من كثرة الترحال والتجوال، فأسقط مشاعره على ناقته وأعارها لسانه لتعبر عن حالها وتبرمها من خوض غمار القفار والصحاري وكثرة الأسفار، وإن كان هذا التبرم ما هو إلا تعبير عن مشاعره هو في حقيقة الأمر، ولكنه لم يستطع أن يبوح بها في مجتمع يقدس الأسفار ومعاناة المشاق والصعاب، ويعير بقصور الهمة وملازمة السكون والخضوع إلى الأرض، يقول:

إِذَا ما قُمْتُ أَرْحَلُها بِلَيْلٍ ... تَأَوَّهُ آهةَ الرَّجُلِ الْحَزِينِ

تقُولُ إِذَا دَرَأتُ لها وَضِينِي ... أَهذا دِينُهُ أَبَداً ودِينِي

أَكُلَّ الدَّهرِ حَلٌّ وارْتِحالٌ ... أَمَا يُبْقِي عَلَيَّ وما يَقِينِي[9]

والوضين الحزام الذي يشد به رحل الناقة، ونرى أن المثقب هنا أعار ناقته لسانه لتعبر به عن تذمرها من كثرة الأسفار والترحال ومعالجة المشاق، ولم يكن المتكلم في الحقيقة سواه، ولم يكن يعبر سوى عن تذمره هو ولكنه لا يستطيع قول ذلك صراحة لأنه سينسب إلى الكسل وقصور الهمة، يقول الأستاذ فخري أبو السعود: "**وبثت حياة البادية في العرب صفات الحمية والشجاعة والحرية والأنفة... وظهر أثر كل ذلك جلياً في أدبهم، وأدى إباؤهم ودوام انتجاعهم الكلأ إلى استمرار المناوشات والوقائع بين قبائلهم، وانعكس ذلك في مفاخراتهم ومنافراتهم نثراً وشعراً، وهذه الصفات الشماء التي تلزم حياة التبدي جعلت العرب ينظرون شزراً إلى الزراعة والصناعة اللتين لم يكن لهما مجال في البادية، ويحتقرون الزراع والصناع الذين تسترقهم الأرض وتستعبدهم المادة، ولا يرون الشرف والعزة إلا في الانتجاع ورعي الإبل والتجارة والقتال. فالأخطل يعيّر بني النجار بمساحيهم**[10]**، وآخر**[11] **يفاخر غريمه فيقول:**

لحا لله أدنانا إلى اللؤم زلفة ... وألأمنا خالا وأعجزنا أبا

أجدرنا أن ينفخ الكير خاله ... يصوغ القروط والشنوف بيثربا

والحق أن الشعر الجاهلي مهما يكن قد داخله من تزييف يمثل الجانب الاجتماعي من حياة العرب في الجاهلية تمثيلاً رائعاً، ولا يمكن تصور حالة العرب في ذلك العهد إلا على ما وصِفت في أشعار طرفة ومهلهل وأمثالهما"[12].

02- الإسقاط التشاركي: ويقصد به تلك الحالة التي يشرك فيها الشخص مشاعره ودواخله النفسية كائنا آخر كنوع من المبالغة كما في قول المنخل اليشكري:

وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري[13]

حيث أشرك الشاعر بعيره في حب ناقة محبوبته، وكأنه يقول لها إنه ليس هو من يهيم بها فقط، وليس يحبها بجوارحه فحسب، بل إن كل ما يمت إليه بعلاقة يحب ما يمت إليها أيضا، وقد يقول قائل إنه لم يؤكد حب ناقتها بعيره مع أنه أكد حب المرأة إياه، إلا أن هذا الافتراض يرد عليه من وجهين، الأول أنه أراد إشراك بعيره فقط لأنه يعرفه ويشركه في رحلاته وزياراته لمحبوبته، وأنه لا يملك مشاعر الناقة، والثاني احتمال جواز قراءة الشطر "وتحب ناقتها بعيري" ونحن وإن كان قد وصلنا فعل "يحب" مسندا للبعير فإنه لا يتعذر ولا يبطل أن يكون قد أسند فعل الحب للناقة أيضا ما دام الرسم واحدا لا يتغير.

أو كنوع من التسلي والتخفيف عن لواعج النفس المكلومة، إذ يجد المكلوم بجرح معين سلوى وراحة في كائن يقاسمه الجرح نفسه، ومن قبيل هذا قول عبد الرحمان الداخل وقد بدت له نخلة مغروسة بأرض الرصافة بقرطبة فتذكر أرضه وموطنه، "**فهو لم ينس قط أنه سليل دوحة تقصفت واجتثت أصولها الراسخة حيث كانت يانعة زاهرة، وأنها اجتثت في مناظر دموية مروعة كان من شهودها وكاد يغدو في ضحاياها، ومن ثم نراه حتى آخر حياته محزون النفس يتلهف على ماضيه، ويبكي مجد أسرته، ويتحسر على فراق وطنه، وعلى نفيه وغربته**"[14] ولن يجد شريكا له في هذه المحنة أكثر من نخلة غريبة عن موطنها، اجتثت من أصلها وبموطنها عنوة، وغرست بأرض غريبة عنها ترابا ومناخا، ونحن نعرف مدى تعلق العربي بالنخل وحبه له لتشابهه معه في الشموخ والعنفوان والصبر على لظى الصحراء وقلة الماء، ولو أنه رأى شجرة غيرها لما كان لها ذلك التأثير الكبير عليه، يقول:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن أهلي

نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسح ويستمري السماكين بالوبل[15]

03- الإسقاط الوهمي: ويقصد به تلك الحالة التي يسقط فيها الشاعر حالته على كائن يبدو من ظاهره أنه يشاركه شجونه وآلامه، ولكنه يكتشف بعد ذلك أنه كان واهما في إسقاطه، وأن الكائن الآخر إنما يعبر عن حالته الطبيعية الأصلية، وليس عن حالة عابرة وحزن مؤقت، يقول أبو فراس الحمداني وقد مع نواح حمامة على جذع قريب من زنزانته:

أَقُول وَقد ناحت بقربي حمامة ... أيا جارتي هَل تشعرين بحال

معَاذ الْهوى مَا ذقت طارقة الْهوى ... وَلَا خطرت مِنْك الهموم ببال

أتحمل محزون الْفُؤَاد قوادم ... على غُصْن نائي الْمسَافَة عالي

أيا جارتا مَا أنصف الدَّهْر بَيْننَا ... تعالي أقاسمك الهموم تعالي

تعالي تري روحا لدي ضَعِيفَة ... تردد فِي جسم يعذب بالي

أيضحك مأسور وتبكي طليقة ... ويسكت محزون وَيُنْدب سالي

لقد كنت أولى مِنْك بالدمع مقلة ... وَلَكِن دمعي فِي الْحَوَادِث غالي[16]

إن بكاء الحمامة وإن بدا في ظاهره التفجع، ما هو إلا تعبير عن حالة طبيعية في الحمائم، لا علاقة له بالمشاعر، ولا يعبر عن حالة حزن لحادث ما، ولذلك يسخر الشاعر من هذا النوح، ويتعجب كيف تتوجع طليقة حرة على غصن شجرة عالية، ويدعوها إليه لتقاسمه الهموم والأحزان حتى يكون لبكائها ونوحها سبب مقبول. والمتتبع أشعار العرب في نوح الحمام يجد تشابها غريبا في التعبير عن هاته الحالة، وكأنما خلق الله الحمائم لتواسي المحزونين والمكروبين، وتخفف عنهم أحزانهم وأشجانهم، كما كان الحال مع أبي فراس، أو تشاركهم حنينهم إلى الأهل والبلد بترجيعها وبكائها المصطنع، كما في قول عوف بن محلم الخزاعي:

وأرقني بالري نوح حمامة ... فنحت وذو اللب الحزين ينوح

على أنها ناحت فلم تر عبرة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح

ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر ... وغصنك مياد ففيم تنوح[17].

04- الإسقاط المواسي: هو نوع طريف من الإسقاطات في الأدب القديم، وهو حيلة أو وسيلة يلجأ إليها الشاعر عند حديثه وصف حالته أو رثاء أحبائه، ليواسي نفسه ويخفف من شعوره بالألم والحزن حين يرى غيره من الكائنات وقد ذاقت مما ذاق

منه، فيسقط حالته عليها ويقارن نفسه بها فيشعر ببعض المواساة والسلوان، ولعل أحسن مثال على هذا النوع من الإسقاط عينية أبي ذؤيب الهذلي التي مطلعها:

أَمن الْمنون وريبها تتوجَّع ... والدهر لَيْسَ بمعتبٍ من يجزع[18]

فقد ذكر فيها أبو ذؤيب مصارع بعض الحيوان ليواسي نفسه عن موت أبنائه ويذكر نفسه بأن الموت لا يبقي على أحد كائنا من كان، يقول في أبيات طويلة نقتصر على قليل منها خشية الإطالة:

كَم مِن جَميعِ الشَملِ مُلتَئِمُ الهَوى ... باتوا بِعَيشٍ ناعِمٍ فَتَصَدَّعوا

فلئن بِهِم فَجَعَ الزَمانُ وَرَيبُهُ ... إِنّي بِأَهلِ مَوَدَّتي لَمُفَجَّعُ

وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ ... في رَأسِ شاهِقَةٍ أَعَزُّ مُمَنَّعُ

وَالدَهرُ لا يَبقى عَلى حَدَثانِهِ ... جَونُ السَراةِ لَهُ جَدايِدُ أَربَعُ

صَخِبُ الشَوارِبِ لا يَزالُ كَأَنَّهُ ... عَبدٌ لِآلِ أَبي رَبيعَةَ مُسبَعُ

أَكَلَ الجَميمَ وَطاوَعَتهُ سَمَحجٌ ... مِثلُ القَناةِ وَأَزعَلَتهُ الأَمرُعُ[19]

والغريب أن الدكتور عبد الله الطيب رحمه الله وهو من هو في العلم والمعرفة لا يرى في النصف الثاني الذي خصصه أبو ذؤيب لوصف مصارع الحيوان شيئا من الحسن والإبداع، يقول "**وإن عجبي ليطول من متأدبة هذا العصر، يغلون في مدح هذه القصيدة حتى إن بعضهم ليسميها "سمفونية أبي ذؤيب"، وربما يسميها بعضهم "سوناتة" أبي ذؤيب إعجابًا بها، ولو قد وقف هذا الإعجاب على قسمها الحزين الباكي الذي في أولها لكان له وجه، ولكنهم يعممون إعجابهم فيشملون به القصيدة كلها**"[20]، لقد بنى الدكتور عبد الله الطيب عتابه على الهذلي بسبب إقحامه وصف مصارع الحيوان في الرثاء على "**منهج شعراء هذيل من ذكر هلاك الأوابد والنسور والوعول وما إلى ذلك من مظاهر الطبيعة**"[21]، ولم ينتبه إلى اختلاف المناسبة، فمصيبة أبي ذؤيب لا تقارن بمصائب أقرانه من هذيل، ذلك أنه فقد أعز ما يملك ولم يفقد ابنا واحدا أو اثنين بل رزئ في كل أبنائه، ولذلك فتوجعه يفوق توجع غيره ويربو عليه بعشرات المرات، وهو لم يكن مقلدا في وصفه بل كان يعبر عن نفس مفجوعة وقلب جريح، وطرف قريح، ولعل قسوة الدكتور الطيب على أبي ذؤيب مردها إلى تأثره برأي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والخليفة المنصور حين ظنا أن انصراف الشاعر عن الرثاء المباشر إلى وصف مصارع الحيوان دلالة على سلوانه ونسيانه أولاده[22]، وليس الأمر كذلك وإنما ذكر الراثي ما ذكر من مصارع الحيوان والأوابد على سبيل الإسقاط وليس على سبيل السلوان، والدكتور الطيب نفسه يعترف بنفسه أن هاته العادة كانت معروفة في شعراء هذيل[23].

ومن هذا النوع أيضا (أقصد الإسقاط المواسي) ما يظهره الشاعر من لواعج النفس القريحة، وبيثه من مشاعر الشوق الدفينة في محيطه وبيئته حين يبث فيها الروح، ويجعل منها مرآة تتجلى فيها وتنعكس عليها مشاعر الشوق، ولواعج الهوى لحبيب أبعده الزمان عنه، وضرب النوى بينهما بجرانه، ولعل أفضل مثال على هذا النوع قافية ابن زيدون:

إني ذكرتك بالزهراء مُشتاقا ... والأفقُ طلْق ووجه الأرض قد راقا

وللنسيم اعتلالٌ في أصائله ... كأنه رقّ لي فاعْتل إشْفاقا

والرَّوضُ عنْ مائه الفضي مُبْتَسِمٌ ... كما شَقَقْتُ عن اللبات أطواقا

يومٌ كأيامِ لذاتٍ لنا انصرمتْ ... بتْنا لها حين نامَ الدّهر سُرّاقا

نلهو بما يستميل العينَ من زهر ... جال النَّدى فيه حتى مال أعناقا

كأن أعينه إذ عاينت أرقي ... بكت لما بي فجال الدّمع رَقْراقا

ورد تألق في ضاحي منابته ... فازداد منه الضحى في العين إشراقا

سرى بنافجة نيلوفر عبق ... وسنان نبه منه الصبح أحداقا[24]

يقول الدكتور إحسان عباس معلقا على هاته الأبيات: "**فهذا التوازي بين منظر الطبيعة الضاحك المشرق وحال الشاعر الحزين قد زاد في عمق المفارقة، ولم ينجح في إثارة الطبيعة للعطف على حاله حين ذكر اعتلال النسيم وتخيل بكاء الزهر بماء الندى إشفاقا ومشاركة له، لأنه أمعن في تصوير الاستبشار والنمو والتفتح في جنبات الطبيعة، غير أنه وفق حين جعل من هذا المنظر الفريد صورة للماضي في ظل المحبوبة**"[25] إن حالة الإسقاط الخفي لنفسية الشاعر على ما حوله من مناظر الطبيعة، وجعلها مرآة لحالته الشعورية الآنية التي تتأرجح بين الماضي والحاضر، وبين الذكرى والواقع، هي التي جعلت الدكتور إحسان يرى أن ابن زيدون لم يوفق بين إثارة الطبيعة للعطف على حاله، ولو أن الدكتور نظر من زاوية الإسقاط لما ذهب هذا المذهب، إذ أن الشاعر لم يكن يستجدي عطف الطبيعة على حاله، بقدر ما كان يريد نقل وتصوير لواعجه وعواطفه التي تختلج بين جوانحه في تلك اللحظة، فيسقط حالة استبشاره وفرحه بالذكرى التي تمر أمام عينيه على الروض والورد، ثم يثوب إلى وضعه الآني وما يعانيه من بؤس الفراق وألم البعاد، فيشرك النسيم والزهر في آلامه. وهذا النوع من الإسقاط هو الأكثر خفاء وغموضا حيث تتأرجح نفسية الأديب بين الحاضر المعيش زمانيا، والماضي المستدعى لحظيا فتختلط مشاعر الاستبشار والفرح بمشاعر الألم والفرقة.

05- الإسقاط العاطفي: وأقصد به تلك الحالة التي يستجدي فيها الشاعر عطف الممدوح عبر حشره في زاوية الكرم الفياض، ويحمله عواقب عدم الإحسان إليه والتكرم عليه، ويظهر هذا بجلاء في بعض الأبيات التي يتوعد فيها الشعراء مركوباتهم بالعقر والذبح حين يبلغونهم أماكن تواجد الممدوحين، فهذا الفعل وإن كان تهديدا غير لازم الوقوع، فإنه يوقع الممدوح في بعض

الحرج بأنه إذا لم يكرم قاصده ويحمله فإنه يعرضه للهلاك والموت بسبب فقدانه وسيلة تنقله، كما يشعره في الآن نفسه بالفخر والزهو بأنه المقصد والموئل النهائي والأخير للمحتاجين والشعراء المادحين، فيحثه ذلك على الكرم والبذل والعطاء، ومن أمثلة هذا النوع قول الشماخ بن ضرار ي مدح عرابة الأوسي وكان من الأجواد المشهورين:

رَأَيْت عرابة الأوسي يسمو ... إِلَى الْخيرَات مُنْقَطع القرين

إِذا مَا راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة بِالْيَمِينِ

إِذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بِدَم الوتين

قَالَ الْمبرد فِي الْكَامِل: وَقد أحسن كل الْإِحْسَان فِي قَوْله: إِذا بلغتني وحملت رحلي يَقُول: لست أحتاج أَن أرحل إِلَى غَيره، وَقد عَابَ[26] بعض الروَاة قَوْله: فاشرقي بِدَم الوتين وَقَالَ: كَانَ يَنْبَغِي أَن ينظر لَهَا مَعَ استغنائه عَنْهَا"[27] إن الوعيد الذي توعد به الشماخ ناقته ليس وعيد واثق، أو فلنقل ليس وعيدا مؤكد الحصول، بقدر ما هو حالة إسقاط لنفسية متعبة من كثرة الترحال لممدوحين بخلاء لم يكن نوالهم كافيا لإراحته من تعبه، وهي في الآن نفسه أكبر دافع للممدوح الجديد/البديل للتكرم والتفضل الذي يغني عن استجداء غيره بعده، وفي مقابل هذا الوعيد نجد بعض الشعراء يبشرون ناقتهم بالخير إن هي بلغتهم مرادهم، وهي حالة إسقاط أخرى مخالفة للتي سبقتها تحيل على حالة نفسية واثقة من كرم المقصود ومن أنه نواله سيريح الراكب والمركوب من معاناة السفر مرة أخرى ومثاله قول الأعشى وهو "**أول من وعد ناقته بالخير والجميل إذا بلغته إلى ممدوحه**"[28]:

مَتى مَا تُنَاخِي عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ ... تُرَاحِي وَتَلْقَيْ مِنْ فَوَاضِلِهِ نَدَا[29]

وقول الفرزدق:

علام تَلَفَّتِينَ وَأَنْتِ تَحْتِي ... وَخَيْرُ النَّاسِ كُلُّهُمُ أَمَامِي

مَتَى تَرِدِي الرُّصَافَةَ تَسْتَرِيحِي ... مِنَ التَّصْدِيرِ وَالدَّبَرِ الدَّوَامِي[30]

وقد أورد المرزباني في موشحه الكثير من الآراء والنقد الذي وجه للشماخ وذي الرمة[31] وغيرهما ممن توعد ناقته بالويل والثبور، وآثر أقوال الشعراء المكافئين نوقهم بالخير والراحة، دون أن ينتبهوا إلى أن هذا الوعيد الشعري ليس إلا حيلة من حيل الإسقاط المقصودة لاستدرار عطف الممدوح وحثه على البذل والكرم الزائد.

06- الإسقاط السياسي: يقصد بالإسقاط السياسي تلك النصوص الأدبية التي تشكل السياسة أساسها ولحمتها وسداها، وتصاغ في صياغة مبطنة غير مباشرة، يقصد من خلالها تقديم النصح للسلاطين وتعريفهم طرق التعامل مع الأوضاع والأشخاص أعداء كانوا أم موالين، بطريقة فيها الكثير من الحكمة وعلى ألسنة الحيوان أو النبات أوغير ذلك من الكائنات والجمادات، ويمكن اعتبار كتب ابن المقفع أكبر مثال لهذا النوع من الإسقاط، بل لعله أول من فتح هذا الباب وفض خواتم هذا المجال، وذلك لأنه عاش زمن الدولتين الأموية والعباسية وكان شاهد عيان على زوال الأولى، وقيام الأخرى، فكان لزاما عليه تقديم النصح للحكام الجدد، ورسم الطريق لهم لتثبيت أسس الحكم عبر صياغة حكمه ونصائحه في أسلوب حواري أثثت أصناف الحيوان مشاهده فنراه

مثلا يصوغ نصيحته للحاكم بضرورة التريث والتأني في الحكم على الأمور بقصة الناسك وابن عرس فيقول: "**قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: اضرب لي مثل الرجل العجلان في أمره من غير روية ولا نظر في العواقب، قال الفيلسوف: إنه من لم يكن في أمره متثبتاً لم يزل نادماً ويصير أمره إلى ما صار إليه الناسك من قتل ابن عرس وقد كان له ودوداً. قال الملك: وكيف كان ذلك؟ قال الفيلسوف: زعموا أن ناسكاً من النساك بأرض جرجان وكانت له امرأة جميلة، فمكثا زمناً لم يرزقا ولدا، ثم حملت منه بعد الإياس فسرت المرأة وسر الناسك بذلك فحمد الله تعالى وسأله أن يكون الحمل ذكراً وقال لزوجته: أبشري فإني أرجو أن يكون غلاماً لنا فيه منافع، وقرة عين، أختار له أحسن الأسماء وأحضر له سائر الأدباء. فقالت المرأة: ما يحملك أيها الرجل على أن تتكلم بما لا تدري أيكون أم لا... ثم إن المرأة ولدت غلاماً، جميلاً ففرح به أبوه، وبعد أيام حان لها أن تتطهر فقالت المرأة للناسك: اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود ثم إنها انطلقت إلى الحمام، وخلفت زوجها والغلام فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده كان قد رباه صغيراً، فهو عنده عديل ولده، فتركه الناسك عند الصبي وأغلق عليهما البيت وذهب مع الرسول. فخرجت من بعض أحجار البيت حية سوداء فدنت من الغلام، فضربها ابن عرس ثم وثب عليها فقتلها ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها، ثم جاء الناسك وفتح الباب فالتقاه ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية. فلما رآه ملوثاً بالدم وهو مذعور طار عقله، وظن أنه قد خنق ولده، ولم يتثبت في أمره ولم يترو فيه حتى يعلم حقيقة الحال، ويعمل بغير ما يظن من ذلك، ولكن عجل أبن عرس وضربه بعكازة كانت في يده على أم رأسه فمات. ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حياً وعنده أسود مقطع، فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه. وقال: ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدر هذا الغدر، ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال فقالت له: ما شأنك؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له، فقالت: هذه ثمرة العجلة. فهذا مثل من لا يتثبت في أمره بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة**"[32]، إن قارئ هاته القصة/الحكمة الموغلة في الرمزية وغيرها من أمثالها كثير، ليستبين وبوضوح جلي الرؤية الثاقبة لابن المقفع للأحوال السياسية المحيطة به، والتحول السياسي بين دولتين لكل واحدة منهما مرجعيتها وتحالفاتها، ولعله أراد بسرده هذا القصة دعوة أبي جعفر المنصور إلى التأني في الحكم على أبي مسلم الخراساني الفارسي الذي وطد دعائم حكم بني العباس وبسط سلطتهم ونفوذهم على البلاد الإسلامية كلها، ولعلها دعوة عامة للحاكم بالتأني والروية في تقدير الأمور حتى لا يسقط في توابع الندم والحسرة. ومن يقرأ كتاب كليلة ودمنة يلاحظ حرص ابن المقفع على بذل النصائح والإكثار من القصص ذات الإسقاطات السياسية، ولعل هذا الفعل هو الذي كان سببا مباشرا في قتله والتنكيل به، لأن الحكام لا يحبون في الغالب كثرة النصائح والنصاح، لأنهم يرون ذلك نوعا من التنقص منهم والانتقاد المذموم لتصرفاتهم التي لا تروق الرعية وتدعوها للتمرد والثورة، وليس ما ذهب إليه أغلب المؤرخين من أن سببه هو زندقته وفساد عقيدته، أو خلافه مع سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب عامل البصرة[33].

07- الإسقاط الذاتي: ونختم المقال بهذا النوع وإن كان مجال الإسقاط في الأدب العربي القديم واسع الجوانب، شاسع المجالات، تتطلب دراسته الكثير من الوقت وجهد، إذ أن الأدب في عمومه ما هو إلا إسقاطات نفسية وشعورية على النفس والمحيط، ونقصد بالإسقاط النفسي تلك الحالة التي يشخص فيها الأديب نفسه، وما يكابده من آلام ويعيشه من محن، وينفث فيها مصدوره بشكل بين جلي، بحيث يستطيع القارئ أن يتعرف مقصوده بسهولة، ولعل أبرز مثال على النوع ما جاء في رسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، حيث أسقط حالته على بغل أعمى مربوط طول يومه بناعورة يديرها لسقي أرض صغيرة غلتها ليست بالوفيرة، وماؤها غير قريب المتح "**تود بهيمة أصعدته لو كانت في سواد ذي القرنين، تحمل أوتاد خيام، أو غيرها من أثقال اللئام، وتسافر من المشرق إلى المغرب، وتراح من هذا البؤس الدرب، إذ كان سفرها وعذابها يجدد، ولا يقنع لها القدر بالأين، حتى يأمر**

بتخمير العين، فالخطوة من العبء قصيرة، والعين عمياء بصيرة"[34] إن من ينظر إلى هذا المثال والأوصاف التي أسقطها أبو العلاء على البغل ليستطيع وبكل بساطة إدراك البعد الرمزي/ الإسقاطي على حالته، فهو شبيه البغل المعصوب العينين في العمى والحبس، "**فالمعري لا يلقاك إلا في سجن، ولا يحدثك إلا في سجن، ولا يسخر بك ويستهزئ منك إلا في سجن، لأن كل عادة من عاداته سجن، وكل طبع من طباعه سجن. وهو يفتن في ابتكار السجون التي كان مأخوذا بحبس نفسه فيها**"[35]، وهو شبيهه في الشقاء والعذاب، يقول مخاطبا الصاهل: "**قد ترى ما أنا فيه، ولا يطلب بعد عين أثر... والتلف أهون من الصلف، وموت لا يجر إلى عار، خير من عيش على رق... إني مع الذي ألاقيه من قبة الدعة وعنف السياق، يسوسني أجير كسلان إذا سأله الملاك: أأرويته من سويد؟ قال: نعم، أحششته بعد ذلك، أأوعيت له من الحسيك؟ أتفقدته من آثار الأبرار؟ قال: أجل، نعم، حوب، ويحلف لهم الحذاء لقد فعل، وهو بشهادة الله أكذب من الشيخ الغريب، والأخيذ الصبحان، وتوهم المخفق وتخيل الوالدة، والبرق في عام السنة**"[36]. وهو شبيهه في تحمل أذى الناس وسخريتهم منه[37]، وهو شبيهه في معاناته من سوء فهم الناس مراده وقصده، ويظهر ذلك في قصته مع الجمل الذي لم يفهم مراده من بعض رسالة أراده تبلغيها، فرفض هذا الطلب، وفسر ما جاء فيها على غير المقصود منها، ونعته بالجهل تارة ورماه بالكفر أخرى، وحشره مع المجانين ثالثة، ويشغل هذا المقطع الكثير من الصفحات ولذلك فضلت عدم إيراده خوفا من التطويل فليراجع في الرسالة، وهو شبيهه في سرعة نقل الأكاذيب عنه وتغرير الناس به، ونمثل لذلك بما وقع له مع الحمامة وكيف استطاعت تحريف كلامه في حق الجمل مما أدى إلى غضب البعير ومحاولته ضرب الشاحج[38]، وهو شبيهه في قناعته بالقليل، وهو شبيهه في عقمه ورغبته عن الزواج والتناسل، يقول مخاطبا الجمل: "**ويرزقك هجمة عوناً وأبكاراً كأنها عذارى عليها شارة، ومعاصر تتخير فيها على عينك تخير " أبي قابوس " في قيان العراق. هذا إن كنت راغباً في الضراب. فإن لم تكن راغباً في ذلك، فهو أبقى لأيدك وأرجى لبصيرتك وأدنى لرشدك وأجدر بطول عمرك، على أن العمر إلى الله إن شاء قصر وإن شاء مد**"[39]... ولا أريد أن أكثر في الحديث، أو أطيل في ذكر المواضع التي يسقط فيها أبو العلاء حالته على حالة البغل المربوط المعصوب العينين، فالرسالة من أولها إلى آخرها كلها إسقاطات نفسية، وأدبية، وسياسية، ودينية... وهي مع رسالة الغفران أروع ما كتب في الأدب العربي حسب رأيي المتواضع، لما جمعتا من علم وفقه وأدب وشعر وحكايا، وما فيهما من تشخيص للوضع والظرف الذي عاش فيهما رهين السجون الثلاثة[40].

وختاما يبقى الإسقاط من أكثر المظاهر والتجليات النفسية التي يلجأ إليها الأدباء والشعراء لبث مشاعرهم وعواطفهم، والتعبير عن أحوالهم بطريقة غير مباشرة فيها الكثير من الرمزية والتورية، والناظر للأدب القديم من هذه الزاوية يستطيع وبكل سهولة أن يحلل أغلب القصائد والنصوص على ضوء هذه النظرية، بل ويمكنه حشر أغلب ما بلغنا منها تحت جناح الإسقاط، وهذه دعوة للمهتمين إلى إعادة قراءة النصوص التراثية الأدبية وغيرها قراءة إسقاطية تتجاوز ما هو معروف ومتداول ومباشر، إلى الغوص في أعماق النفس وملامسة دواخلها وزواياها.

الهوامش:

[1] – الإسقاط النفسي، عبد الله سليمان الطليان، موقع الجزيرة، الأربعاء 29 يونيو 2022م.

[2] – عادل خضر، إسقاط صورة الجسم في اختبارات الرسم، مجلة علم النّفس، العدد 56، ص: 28.

[3] – الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة 1997م، الطبعة 04، ص: 406.

4 – الشعر والشعراء، لابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) دار الحديث، القاهرة، 1433هـ.

[5] – الزهرة لأبي بكر محمد بن داود الأصبهاني (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الثانية، 1985/1406، صفحة 698.

6 – أنساب الأشراف، لأحمد بن يحي بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ناشر: دار الفكر – بيروت الطبعة: الأولى، 1418هـ – 1996م، الجزء 5 صفحة 233.

7 – يبدو لي أن القرآن الكريم كان يقصد إلى هذا المعنى في قوله تعالى: "وَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ اَنَ اٰمِنُواْ بِاللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اِسْتَٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (87) رَضُواْ بِأَنْ يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" التوبة آية 87–88، فليس هناك أبلغ تأثيرا وأشد تحقيرا في نفس العربي من التعبير بقصور الهمة والقعود والجلوس مع الخوالف، دون غض النظر عن الدافع الديني طبعا.

8 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، القاضي شمس الدين أحمد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر – بيروت، 1987م، الجزء 4 صفحة 94.

9 – المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو 168هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، طبع دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة، د ت، صفحة 292.

10 – يقصد قوله: فذروا المعالى لستم من أهلها ... وخذوا مساحيكم بنى النّجّار

الشعر والشعراء، 474/1.

11 – يقصد عمرو بن كلثوم، انظر رجال المعلقات العشر لمصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1418هـ/1998م، صفحة 200.

12 – أثر البيئة في الأدبين العربي والإنجليزي، الأستاذ فخري أبو السعود، مجلة الرسالة، العدد 177، صفحة 12.

13 – الأصمعيات، اختيار عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت 216هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، 1993م، ص: 60.

14 – من مآسي التاريخ الإسلامي، فرار عبد الرحمن الداخل للأستاذ محمد عبد الله عنان، مجلة الرسالة، العدد 241، ص: 04.

15 – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، (ت نحو 695 هـ)، تحقيق ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1983م، ج 02، ص: 60.

16 – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (ت 429 هـ)، تحقيق، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ/1983م، ج 01، ص: 93.

17 – طبقات الشعراء، عبد الله بن المعتز العباسي (ت 296هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثالثة، ص: 185.

18 – المفضليات، ص: 422.

19 – نفسه 422–423.

20 – المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله بن الطيب بن عبد الله بن الطيب بن محمد بن أحمد بن محمد المجذوب (ت 1426 هـ)، نشر: دار الآثار الإسلامية– وزارة الإعلام الصفاة – الكويت، الطبعة: الثانية سنة 1409هـ – 1989م، الجزء 01، صفحة: 348.

21 – نفسه، الجزء 01، صفحة: 347.

22 – الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (ت 764هـ) تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ/2000م، الجزء 13، صفحة: 274. وانظر المرشد 347/1.

23 – انظر الهامش 20 أعلاه.

[24] – كنز الكتاب ومنتخب الآداب، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (651هـ)، تحقيق: حياة قارة، نشر المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى: 2004، الجزء: 02، صفحة: 545.

25 – تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة الخامسة: 1978م، صفحة: 202.

26 – لم يكن سبب هذا العيب أدبيا، بقدر ما كان مصبوغا بصبغة دينية، بناء على واقعة حدثت في زمان الرسول الكريم حين نذرت امرأة غفارية عقر ناقة رسول الله إن هي بلغتها المدينة المنورة، وهي أول من وعدها بالويل والشر "فقالت: يا رسول الله إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: "لبئسما جزيتها" وقال صلى الله عليه وسلم: "لا نذر في معصية الله جلّ وعزّ، ولا نذر للإنسان في ملك غيره"، شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق: عبد العزيز رباح – أحمد يوسف دقاق، نشر: دار المأمون للتراث، بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ، الجزء 05، صفحة: 278.

27 – خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الرابعة، 1418هـ – 1997م، الجزء: 03، صفحة: 38.

28 – شرح أبيات مغني اللبيب لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ) الجزء 05، صفحة: 278.

29 – نفسه، الجزء 05، صفحة: 277.

30 – نفسه، الجزء 05، صفحة: 278.

31 – أقصد قوله: إذا ابن أبي موسى بلالا بلغته ... فقام بفأس بين جنبيك جازر. الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، لأبي عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت 384هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، صفحة: 81.

32 – كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع (ت 142هـ) ، نشر المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة، 1937م، الطبعة: السابعة عشرة 1355هـ – 1936م، صفحة: 240 وما بعدها.

33 – يقول سبط ابن الجوزي في سبب قتل ابن المقفع: "كان ابن المقفَّع يعيب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب عامل البصرة، وينال من أمه –وهي ميسون بنت المغيرة بن المهلَّب– ويقول: يا ابن المغْتَلِمَة، والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نكحها رجال أهل الشام، وقال له يومًا: ما تقول في زوج وامرأة كم لهما من الميراث، يسخر به على ملأ من الناس. وقال سفيان يومًا: ما ندمتُ على سكوت قط، فقال له ابن المقفع: اخْرَس زَيْنٌ لك فكيف تندم عليه؟ وكان يستخِفُّ به وسفيان لا يقدم عليه لمكانته، وكان سفيان يقول: والله لأُقَطِّعنه إربًا إربًا وعينه تنظر. فقدم سليمان بن علي وعيسى بن علي البصرة ليكتبا أمانًا لعبد الله بن علي، وكان ابن المقفّع يكتب لعيسى بن علي، وأمره فكتب كتاب أمان، واتَّفق أن أبا جعفر قال لابن المقفع: اكتب كتابَ أمان لعبد الله بن علي، وسهّل الأمر فيه، فكتب كتاب أمان وفيه: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق، ودوابُّه حُبُس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته، وأمواله صدقة، وعليه المشي إلى بيت الله حافيًا، وكان ابن المقفع يَتَنَوَّق في الشروط، فلما وقف عليه أبو جعفر عَظُم عليه ذلك، ولما حبس عبد الله بن علي أرسل إليه يقول: ما هذا أمانُك وكتابُك؟ ! فساءه ذلك، فكتب إلى سفيان بن معاوية يأمره بقتله، وكان سفيان مُضْطَغِنًا عليه. فاستأذن ابن المقفع يومًا على سفيان، فأخَّر إذنه حتى خرج مَن عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة، ولما دخل على سفيان قال له: أتذكر ما كنتَ تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أُمِّي مُغْتَلِمَة؟ إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنُّور فسُجِر، ثم أمر به فقُطِّعت أعضاؤه عضوًا عضوًا، وهو يُلقيها في النار وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور وقال: ليس عليَّ في المُثْلَةِ بك حَرَج؛ لأنك زنديق قد أفسدتَ الناس. ولما خرج القوم من عند سفيان رأوا غلمانه على الباب، فسألوهم عنه فقيل: دخل بعدكم واختفى أثَرُه، فخاصم سليمان بن علي وعيسى بن علي سفيان، وأشخصاه إلى المنصور مُقيَّدًا، وحضر الشهود الذين شهدوا أنه دخل دار سفيان ولم يخرج، وأقاموا الشهادة، فقال لهم أبو جعفر: إنا ننظر في هذا، أرأيتم إن قتلتُ سفيان بن معاوية وخرج ابن المقفع من هذا الباب –وأومأ إلى باب خلفه– وخاطبكم، ما تروني صانعًا بكم، أأقتلكم بسفيان، فرجعوا كلهم عن الشهادة، وعلموا أن قتله كان برضاه". مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لشمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (581 – 654هـ)، تحقيق: أنور طالب وفادي المغربي وعمار ريحاوي ورضوان مامو، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، 1434 هـ – 2013م، الجزء 12، صفحة: 166. ويظهر من هذا النص أن أبا جعفر المنصور كان كثير التبرم من ابن المقفع وجرأته على النصح والنقد المبطن لنظام حكمه، ولنستمع إليه وهو يقول: "ليس للملك أن يغضب، لأن القدرة من وراء حاجته. وليس له أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد. وليس له أن يبخل، لأنه أقل الناس عذرًا في تخوف الفقر، وليس له أن يكون حقودا، لأن خطره قد عظم عن مجاراة كل الناس، وليس له أن يكون حلافًا، لأن أحق الناس باتقاء الإيمان الملوك، فإنما يحمل الرجل على الحلف إحدى هذه الخصال، إما مهانة يجدها في نفسه وضرع وحاجة إلى تصديق الناس إياه، وإما عيٌّ بالكلام، فيجعل الأيمان له حشوًا ووصلًا. وإما تهمة قد عرفها من الناس لحديثه، فهو ينزل نفسه منزلة من لا يقبل قوله إلا بعد جهد اليمين. وإما عبث بالقول، وإرسال للسان على غير روية، ولا حسن تقدير، ولا تعويد له قول السداد، والتثبت" الأدب الصغير والأدب الكبير، عبد الله بن المقفع (ت 142هـ)، تحقيق: د إنعام فوال، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الثالثة، 1420هـ–1999م، صفحة: 79.

34 – رسالة الصاهل والشاحج، لأبي العلاء المعري (ت 449هـ)، تحقيق: عائشة عبد الرحمان، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1984م، صفحة: 91.

35 – مقال ثقافة أبي العلاء، للأستاذ دريني خشبة، مجلة الرسالة، العدد 588، سنة: 1944م.

36 – نفسه، صفحة: 97-98.

37 – يقول أبو العلاء في بداية لقاء الشاحج بالصاهل "ولا يمتنع في قدرة الله أن يرد فارس كميت أو ورد، فإذا شرع في نمير ذي برد، ربطه بالكثب من المثب، فيقول الشاحج بفضل الحس: من أين طرأ الكريم؟ فيقول الصاهل: ومن أين علمت بالكرم ومن دون عينك حجاب قد شد، لو كان دون العين النابعة لما فارت، أو العين الطالعة لما أنارت؟ فيول الشاحج: عرفت كرمك في وطئك وصوتك، لأن الرائع قموص الرجل، بحجل كانت أو بغير حجل، ولأن جشة في الصهيل تكون بعتق الفرس أبين دليل، فيقول الصاهل: إنك لعالم بالعراب، فمن أين لك ذلك والأيام لك شاجنة، ونوبها عندك راجنة؟" نفسه، صفحة: 92-93، وينظر صفحة 111 وما بعدها حيث ينكر الصاهل نعت الشاحج له بالخال ويتبرأ من هذا النسب.

38 – انظر الصفحة 208 من الرسالة.

39 – نفسه، صفحة: 218.

40 – أقصد قوله واصفا حاله:

أراني في الثلاثة من سجوني ... فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي ... وكون النفس في الجسد الخبيث.

رسائل في اللغة، أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي (444 – 521هـ)، قرأها وحققها وعلق عليها: د. وليد محمد السراقبي، نشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، الطبعة: الأولى، 1428هـ – 2007م، صفحة: 39.